المبـــارزة

للكاتب الروسى اسكندر بوشكين

تابع لما قبـــله

مرت السنون ، ودعتنى مصلحة الأسرة للعيش فى هذه القرية المظلمة فى مقاطعة « يرنا » ؛ وكم تمنيت لو أتيحت لى العودة إلى حياة الجندية وما كان لى فيها من متعة الاجتماع ولذة الشباب ؛ وكانت حياتى هنا مملة فى تشابه أيامها قاتمة لندرة حوادثها ، أقضى وقتى حتى الغداء فى التحدث الى المالك أو فى مراقبة العمال ومشاهدة المبانى الجديدة ، فاذا جن المساء — وخصوصا أمسيات الشتاء والربيع الطويلة المزعجة — لم أجد ملهاة ولا تسلية ، فقد قرأت الكتب القديمة الموجودة كلها ، واستعدت من خادمتى العجوز « كربلوقنا » القصص التى تحفظها أكثر من مرة ، ولم أكن أميل الى أغانى القرويين لما فيها وفى معانيها من الحزن والألم والحسرة ، وحظى من هذا كله كثير ، أما الشراب فقد كنت أتجرع كل ما تصل اليه يدى على رداءة نوعه وحدة طعمه ، وقد تمنيت أن أكون سكيراً كهؤلاء الذين تكتظ بهم هذه القرية الغريبة .

وكان جيرانى الأقربون جماعة من السكيرين ، حديثهم زفرات متصلة وأنات متقطعة ، فكيف لا أوثر الوحدة على الاجتماع بهؤلاء ؟ ولم أجد حلا لهذا السأم سوى التبكير فى اليقظة ، والتأخير فى تناول الغداء ، حتى يطول نهارى ويقصر ليلى .

وعلى بعد أربعة فراسخ من منزلنا توجد المقاطعة الجميلة التى تملكها « الكونتس بيروفنا » ويسكن هذه المقاطعة وكيل السيدة ، أما هى فلم تزرها غير مرة واحدة فى الشهر الأول من زواجها .

وفى يوم من أيام العام الثانى لحياتى فى هذه القرية سمعت أن الكونتس وزوجها سيقضيان الصيف فى مقاطعتهما ، ولقد وصلا حقا مع حاشيتهما فى النصف الأول من شهر يونية .

وليس من شك فى أن قدوم جار غنى يعتبر حادثا هاماً فى حياة الريف ، وقد تحدث الناس عن هذا الحادث قبل حدوثه بثلاثة أسابيع ، ولا يزالون يتحدثون فيه حتى اليوم مع مرور ثلاثة أعوام عليه ، أما أنا فلم يثر فى غير الشعور بقرب سيدة شابة رائعة الجمال ، حتى اذا جاء الأحد الأول على اقامتهما تناولت غدائى وأسرعت الى قصرهما لأقدم نفسى للسيدة بصفتى جارها القريب وخادمها المطيع .

قادنى الخاجب الى المكتبة فبهرنى أثاثها البديع ومساحتها المتسعة ، هنا رفوف صفت الكتب والمجلدات فوقها على كل منها اسم مكتوب بالبرنز ، وهناك تماثيل ومرآة ، وعلى الأرض بساط أخضر عليه سجاجيد عجمية رائعة النقوش ، ولما لم أكن متعوداً هـــذه المناظر المترفة شعرت بضآلة مركزى وضعة شأنى ، وداخلنى شعور غريب فيه من الحيرة والخجل ما فيه ، وأصبحت كالفلاح الساذج الذى يطلب مقابلة الوزير !

فتح الباب ودخل رجل فى الثانية والثلاثين أو يقاربها ، فما رآنى حتى هش لى وابتسم فى وجهى ... أخذت أسرد عبارات التحية المعروفة كأن أقول أننى مسرور بلقائه وأن ... وأن ... ولكنه وقفنى عند حدى بحديثه الطريف ورحب بى .

وما ان استعدت هدوء نفسى أمام ابتسامته وتواضعه حتى فتح الباب ودخلت الكونتس ، هنا اصطكت ركبتاى وانعقد لسانى ... لقد كانت آية من آيات الجمال والرشاقة ، وكم حاولت أن أحييها فلم أستطع ولاحظ الكونت اضطرابى فراح يقدمنى الى زوجته فى أسلوب عادى كأننى صديق قديم .

وجلت بنظرى فى المكتبة حتى استقرت عيناى على الصور ولم أكن من غواة الصور أو نقادها ، ولكن صورة واحدة استوقفتنى لا لما تمثله من المناظر السويسرية الساحرة ولكن لأن طلقتين اخترقتاها واحدة فوق أخرى !

التفت الى الكونت وقلت « ما أجمل هـذه الصورة ! فرد مبتسما « نعم ! وهى على جمالها لها عندى مركز خاص . هل تحسن اطلاق الرصاص ؟ »

فأجبت على سؤاله مسرعاً لاننى وجدت فرصة سانحة للتحدث فى موضوع أفهمه « أجل ! . وأنا أستطيع اصابة بطاقة على بعد ثلاثين خطوة » وهنا تدخلت الكونتس « حقا ! . . وأنت يا عزيزى هل تستطيع أصابة بطاقة على بعد ثلاثين خطوة ؟ »

فأجاب الرجل :« لا أدرى ! لقد كنت ماهراً فى الرماية أيام شبابى . . وقد مضى على أربع سنوات لم ألمس فيها بندقية »

قلت « صدقنى يا سيدى أنك لا تستطيع أصابة البطاقة على بعد عشرين خطوة و أنا أراهنك على ذلك ، لأن الرماية تحتاج الى مران مستمر . . وأذكر أننى لم أستعمل بندقيتى شهرا كاملا أيام كنت فى الجيش لأنها كانت عند مصلح الأسلحة . . أتدرى ما ذا حدث ؟ لقد أخطأت زجاجة على بعد خمس وعشرين خطوة لا مرة واحدة ولكن أربع مرات متتابعة ! وكان لفرقتنا قائد يحب المزاح دائما فقال . أظنك تحترم الزجاجة أيها الصديق ! فالتمرين واجب . . وأذكر أن أمهر من قابلت فى هذا الضرب من ضروب

الرياضة رجل غريب كان يتدرب على اطلاق الرصاص ثلاث مرات قبل الغداء على الأقل . . وكما أنه لا يستطيع نسيان الكونياك لا ينسى بندقيته مطلقا ! »

ورأيت الزوجين يعجبان من حديثي ويقبلان على الانصات سألني الكونت « وما طريقته ؟ » . فأجبت « سأقص ذلك عليكما . . كان اذا رأى ذبابة على الحائط . . أنت تضحكين ياسيدتي ؟ أقسم لك أن ما أقوله حق لا ريب فيه . . ثم ينادي خادمه . كوسكا هات بندقيتي ! فيأتي له بها ثم . . طراخ ! فاذا بالذبابة مسطحة على الحائط ! »

فصاح الكونت : « يالها من مهارة ! وما اسمه ؟ » فأجبت « اسمه سيليفيو يا سيدي » فانتفض الرجل واقفا وهو يقول « سيلفيو ؟ وهل عرفت سيليفيو ؟ »

قلت « أعرفه ؟ لقد كنا صديقين . . وكان سيليفيو معي في الفرقة ؛ وها قد مضت خمسة أعوام على ذلك . . هل تعرفه أنت ؟ »

فقال الكونت « أجل أعرفه تماما . أو لم يخبرك عن حادث فريد وقع له ؟ »

— « اخبرني كيف لطمه شاب وقح على وجهه في مساء أحد الايام »

— « وهل ذكر لك اسم هذا الشاب الوقح ؟ »

« لا لم يطلعني على اسمه . . آه ! » وهنا استدركت لانه يغلب على ظني أن الشاب هو الكونت وقلت « عفوا سيدي . . لم أكن أعلم ! . ولكن يغلب على ظني أنه أنت ! » أجاب الكونت في ارتباك ـ أجل هو أنا . . وهذه الصورة ذات الثقب نتيجة لقائنا الاخير ! »

هنا اعترضت الكونتس قائلة « نشدتك الله يا عزيزي ألا تتحدث في هذا الموضوع ، ان مجرد التفكير فيه يرعبني حتى اليوم ! » ولكن الكونت لم يحقق رجاءها بل قال « يجب أن يعرف السيد كل ما يتصل بالموضوع ، فهو يعلم كيف أهنت صديقه فمن الواجب أن نروي له كيف انتقم ذلك الصديق

ودعاني الرجل الى الجلوس قريبا منه في مقعد ذي مسند وأخذت أنصت لهذه القصة

« تزوجنا منذ خمسة أعوام وقضينا شهر العسل في هذا المنزل ؛ وفي الحق لقد كانت أهنأ أيام حياتي لو لم تعكرها هذه الحادثة المزعجة .

« وفي مساء أحد الايام ركبت مع زوجتي للنزهة ولكن الجواد جمح بنا حتى ارتاعت زوجتي ورجتني أن أعود بالعربة الى الاصطبل أما هي فستعود سيرا على الاقدام ، ولم أكد أصل الى الدار حتى رأيت عربة سفر أمام الباب . وقيل لي أن انسانا لم يذكر اسمه ينتظرني لمهمة خاصة في المكتبة . . أسرعت الى هناك فوجدت رجلا لايزال في ثياب السفر له لحية طويلة ، وأخذت أتذكر أين رأيته قبل ذاك . .

وقال الرجل : أولا تذكرني أيها الكونت ؟ ، وكان صوته مضطربا . . فصحت عند ذلك : سيليفو !

وأقول الحق لقد وقف شعري من الرعب . وقال صاحبنا جئت لأطلق رصاصتي . فهل أنت مستعد ؟ ، ورأيت بندقيته بين طيات ثيابه وعددت اثنتي عشرة خطوة ورجوته أن يسرع في مهمته لان زوجتي في الطريق الى المنزل ؛ ولكنه قال أريد النور أولا ، لذلك طلبت الشموع .

« ثم أغلقت الباب وأمرت ألا يسمح لأحد بالدخول ، ورجوته مرة أخرى ان ينجز مهمته فرفع بندقيته وأخذت أعد الثواني ولم أكن أفكر في غير زوجتي حتى اذا انقضت دقيقة كاملة خفض بندقته وقال « أنا آسف جداً لأن بندقيتي ليست محشوة ببذور الكريز ! والرصاص كما تعلم صعب الاحتمال ! ولكن تعال نفكر في المسألة مرة أخرى . . لا أرى مبارزة فيما أنا مقدم عليه . . بل هي أقرب ما تكون الى القتل ، وليس من عادتي اطلاق الرصاص على شخص أعزل من السلاح ، هيا نبدأ المبارزة من جديد فنرى أينا يبدأ . . . وأعددنا ورقتين كتبتا في الأولى رقم ١ وفي الثانية ٢ ووضعناهما في القبعة التي أصبتها في المبارزة الأولى . . . وتناول كل منا ورقة دون أن ينظر فيها فاذا بورقتي رقم ١ وهنا صاح سيليفيو « لا أنكر أيها الكونت أن حظك حسن كحظ الشيطان ! »

« لم أفهم غرضه وأجبرني على أن أطلق رصاصتي التي لم تصبه بل أصابت الصورة التي تراها ! »

وأشار الرجل الى الصورة التي استرعت انتباهي أول جلوسي وصار وجه الكونت أحمر قرمزيا وأصبح وجه زوجته كوجوه التماثيل الرخامية البيضاء . أما أنا فقد تعثرت بين شفتي أنة خافتة وأتم مضيفي قصته :

أشكر الله لقد أخطأته رصاصتي : أما هو فقد كان رابط الجأش ثابتاً ينتظر . . فتح الباب فجأة ودخلت زوجتي فلم تكد تراناعلى هذه الصورة حتى ألقت بنفسها عند أقدامي ، وهنا استعدت شجاعتي وقلت لها ، عزيزتي ، ألست ترين أننا نمزح ؟ اذهبي واشربي قدحا من الماء ثم عودي الينا ، وعند عودتك سأقدم اليك صديقي وزميلي القديم ، ولكنها لم تصدقني وسألت سيليفيو في رهبة وتأثر ، هل أصدق زوجي فأعتقد أنكما تمزحان ، فأجاب ، انه يمزح دائما ياسيدتي ، اتفق مرة أن صفعني وهو يمزح ، وأصاب

(البقية على صفحة ٤٢)